مجلة آفاق علمية ISSN: 1112-9336
المجلد: 15 العدد: 01 السنة 2023 ص 499 - 517

تاريخ الإرسال: 2022/02/02 تاريخ المراجعة: 2023/01/17
تاريخ القبول 2023/02/16:

خصوصية النقد الأدبي عند الإبراهيمي
The Specificity of Bramimi Literary Criticism.

فطيمة الزهرة عاشور[1]
جامعة برج بوعريريج (الجزائر)، fatimazohra.achour@univ-bba.dz[1]

الملخص:

قامت جمعية العلماء المسلمين بحملة واسعة للإصلاح من أجل نهضة الجزائر، بعدما أن أتت السياسة الاستعمارية على الأخضر واليابس، فلم تترك للجزائريين ما يتكئون عليه لإعادة البناء والتشييد، فقد دمرت البنية البشرية دينها ومقدساتها وهويتها، وطمست معالم نبوغها وحضارتها، كما نهبت ثرواتها وحطمت معالمها.

وقد تنبه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي لما للجانب البشري من أهمية لقيام الدولة وعودة الإنسان الواعي بانتمائه وقيمه وفهم حقوقه وأدائه واجباته اتجاه وطنه، الذي يمكنه القيام بالثورة وإعادة اعمار وطنه. فقد انشغل بإصلاح الجانب الروحي والعلمي والأدبي مقاوما مع رفاقه من علماء جمعية العلماء المسلمين. ولم يكن نقد الأدب شاغلا له عن الإصلاح، بل كان أحد وسائل النهضة التي انتهجها.

الكلمات المفتاحية: الأدب، النقد، الإصلاح، النهضة، الإبراهيمي.

Abstract:

The Society of Muslim Schohars has launched a massive reform campaign for the renaissance of algeria , After the colonial policy of Greenfield and Ybis, the Algerians were left with little to do with reconstruction.

Sheikh Mohammed Al-bachir Brahimi has been alerted to the impotance of the human side for the establishment of the State , the return of a human being conscious of his affiliation and values , the understanding of his rights and the performance of his duties towards his homeland, whch can carry out the revolution and rebuild his homeland,He was busy reformming the spiritual, scientific and literary aspect, resisting with his fellow scholars of the Society of Muslim Scholars. Criticism of literature was not a concern for reform, but a renaissance.
Keywords: literature, criticism, reform, renaissance, Brahimi.

المؤلف المرسل: فطيمة الزهرة عاشور، FATIMAZOHRA.ACHOUR@UNIV-BBA.DZ

1.مقدمة:

إن استكشاف جوانب الرحابة في فكر الإبراهيمي واستجلاء مواطن الجمال والإبداع، واستكناه الأغوار والأعماق، والسياحة بين آثار الإبراهيمي الفريدة والمتميزة هي غاية نبيلة يتعرف من خلالها الناقد على فسيفساء نادرة لا تجدها إلا في شخصية هذا العلامة. ومحاولة التعرف على جانب من جوانب الفكر عند الإبراهيمي والدخول في أعماقه، إنما تتم من خلال مصادقة نصوصه النقدية التي تمنحنا أسرارها.

وإذا كان الإبراهيمي قد ذاع صيته في الأقطار والأمصار، ذلك أنه رائد النهضة في الجزائر، من خلال رسالة الإصلاح التي حملها على كاهله على أكثر من مستوى، في(الدين، المجتمع، الأخلاق، التعليم، الإعلام، الأدب)، إلا أن هذه المستويات تشترك في كونها تنضوي تحت راية الرفع من مستوى الفكر عند المواطن الجزائري مركزا على الدين الإسلامي والتراث العربي في فترة الازدهار والتحضر، بعد أن عبث الاستعمار الفرنسي بالمقدسات الإسلامية ومحاولة إحلاله كل ما هو فرنسي

على المواطن الجزائري، الذي طال مكوثه تحت القهر والجهل والحرمان والظلم والظلام؛ مما أدى بالإبراهيمي ورفاقه من مؤسسي جمعية العلماء المسلمين من الاستفادة من حركة ((التنوير)) المشرقية – التي استفادت هي الأخرى من حركة الإصلاح على النسق الغربي المستفادة من أوربا – والحركة الأخرى هي الحركة الإسلامية أي حركة العودة إلى الإسلام؛ والثانية أكثر تأثيرا في علماء الجمعية، وهذا ما يظهر في قانون الجمعية الداخلي الذي يحدد الأولويات والأهداف والوسائل التي تعمل على تصحيح الممارسات الدينية في الجزائر التي طالها التحريف والخرافة.

فقد تأثر الشيخ الإبراهيمي بـ" الحركة التجديدية المشرقية " وبأعلامها فنبغ كاتبا مبدعا ومتحدثا بليغا وباحثا متعمقا ومفكرا أديبا، وقد ألف في اللغة وقضاياها الدقيقة، وفي الأخلاق وفضائلها العميمة، وفي الأصول وأمور الشريعة، حاملا روح مصلح وقوة ثائر"[1]، فالإبراهيمي كان صاحب تفكير موسوعي، كما كانت أهدافه الإصلاحية متنوعة لا تنحصر في جانب واحد من الإصلاح، نظرا لحساسية المرحلة التي بدأ فيها العمل مع الجمعية وظروف الجزائر إبان الحقبة الاستعمارية الغاشمة التي طال فسادها كل مظاهر الحياة اليومية للمواطن الجزائري.

ومنه يمكن طرح الإشكاليات التالية:

- ما هو موقف الإبراهيمي من الأدب إبان الاستعمار؟
- وكيف وجه الشيخ الإبراهيمي الأدب العربي لخدمة أهداف الإصلاح والنهضة في الجزائر؟ وما هي خصوصية النقد الأدبي عن الإبراهيمي؟

ولبيان منهجية الإبراهيمي في إصلاح اللسان العربي في الجزائر، ووسائله الأدبية وقدراته النقدية، قسمت المقال لقسمين:عام وخاص، حتى نتبين علاقة منهجه الإصلاحي بأسلوبه الأدبي والنقدي.

1. مقومات النهضة عند الإبراهيمي:

ومن مبادئ الشيخ الإبراهيمي؛ أنه يرى أن الإنسان عموما والمجتمع الجزائري لن تقوم له قائمة إلا بـ :

1.1. بالتعليم العربي:

يقول – مخاطبا الأمة الجزائرية – "..إنك لا تنهضين إلا بالعلم، وإن نهضة لا يكون أساسها العلم هي بناء بلا أساس ولا دعامة.. دعونا هذه الأمة – بعد تحققنا للقابلية فيها – إلى التعليم العربي الابتدائي ، لأنه الخط الذي تبتدئ منه النهضات العلمية.." [(2)]، فقد ركز على التعليم باللغة العربية على أنها أساس النهضة في المجتمع الجزائري وليس التعليم الحكومي القائم على اللغة الفرنسية، وشجع على فتح المدارس.

فقد آمن بقدرة العقل البشري في مواجهة العجز الفردي والاجتماعي والفكري والتخلص من الفساد والاستبداد والظلم وإصلاح المجتمع بالعلم، وراهن على المرحلة الابتدائية كمرحلة بناء لمجد الأمة، وسبر أغوار رغبة أبناء الجزائر في التعلم والتحصيل والتميز.

2.1. بالإصلاح الديني:

الذي" يتوجه إلى فكر الإنسان المسلم، وإلى عقله أول ما يتوجه، يطالبه بأن يجمع بين الدنيا والآخرة، بين التنظير والتطبيق، الرؤية والسلوك، الواقع والممكن، ويلغي الوسائط والبدائل والأوثان، يتجاوز الخلافات والمذاهب والطوائف وينهل من النبع الأصيل مباشرة؛ بمحاربة البدع والطرقية ومن ثم نشر أحكام الدين الصحيحة"[(3)]؛ فتعلم أصول الدين هي من أولويات الإصلاح عند الشيخ الإبراهيمي، هذا المبدأ الأساسي الذي قامت عليه جمعية العلماء المسلمين، وجاء في قانون الجمعية الداخلي ما يلي: " نبدأ بإصلاح العقيدة مثلا، والعقيدة الحقة لها ميزان دقيق

وهو الكتاب والسنة فإذا عرضنا أكثر عقائد الناس على ذلك الميزان وجدناها طائشة، فأي سبيل نسلكه لتقويمها، إن اقتصرنا على بيان العقيدة الصحيحة واجتهدنا في إقامة الأدلة، فإن التأثير يكون قليلا؛ لأن النفوس قد اصطبغت بعوائد وتقاليد مستحكمة، والفِطر قد فسدت بما لابسها من خرافات وأوهام.."[4]، وقد حارب الشيخ الإبراهيمي وأعضاء الجمعية الطرقية التي دعمها الاستعمار واستحكمت في حلقاتها في معتقدات المواطن الجزائري الذي اختلطت عليه بين معتقد ديني وآخر شعبي يصل إلى حد الشرك، كالمزارات والتبرك بالأولياء الصالحين وإتباع الطرق الصوفية المنحرفة عن تعاليم الدين الإسلامي الحق.

3.1. بنشر الوعي ووسيلته الإعلام (الصحافة/ النوادي) :

الصحافة:" التي حملت دعوة بناء الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية والتثبت القومي بمقوماتها والاعتزاز الصادق بمآثرها وأمجادها .." [5]، هذا ما يفسر إنشاءه عديد الصحف وتحريره لها مثل البصائر، كما سبق له تصدير صحيفتي الشهاب، المنتقد،" فجمعية العلماء المسلمين الجزائريين– ومنها الإبراهيمي– جعلت من الصحافة التي أصدرتها مدرسة هائلة للتربية والتثقيف والوطنية الصحيحة والتوجيه العربي الإسلامي العام .."[6]، ومن ثم فالشباب الجزائري يدين لها بشكل أو بآخر في تكوينهم الفكري وفي بعض أفكارهم التنويرية التحررية.

أما" بالنسبة للنوادي والجمعيات الثقافية، فإنها ظهرت عندما بدأ الشعب الجزائري يستعيد أنفاسه ويلتحق بركب التعليم، فحاولت النخبة المسلمة نشر التوعية في صفوف الشباب، فأنشأت هذه النوادي وهذه الجمعيات الثقافية"[7]، يقول الإبراهيمي:" إن جمعية العلماء ترى أن النوادي الإسلامية التي تؤسسها، أو تشرف عليها، هي وسط جامع بين المدرسة وبين الجامع "[8].

ففي الجزائر مئات من الشبان العرب المسلمين، فاتهم التعليم الديني العربي، ولم تجدهم الجمعية في المدارس ولا في المساجد، والاعتناء بهم واجب، فأنشأت لهم الجمعية عشرات من النوادي الجذابة تلقي عليهم فيها المحاضرات العلمية والدينية والاجتماعية، وأدت هذه النوادي أكثر مما تؤديه المدارس والمساجد من التربية والتوجيه، كما أنشأت الجمعية للعمال الجزائريين في باريس وغيرها من مدن فرنسا عشرات من النوادي وزوّدتها بطائفة من الوعاظ والمعلمين من رجالها، يتعلم فيها أولئك العملة ضروريات دينهم ودنياهم، ويتعلم فيها أبناؤهم اللغة العربية تكلما وكتابة، ويتربون على الدين والوطنية، وقد استفحل أمر هذه النوادي وأتت ثمراتها قبيل الحرب الثورة التحريرية [9]، فالجمعية لم تلتزم في نشر التعليم بالمؤسسات الحكومية، بل المؤسسات الفكرية المتاحة للحوار الهادف البناء، شاركت في التعليم منها المساجد والجمعيات والنوادي والمدارس.

4.1. الأدب:

جعل الإبراهيمي اللغة العربية قرينة الفكر، وعول عليها في أمر الإصلاح تعويله عليه، وقال أنها الهدف الثاني في دعوته بعد هدفه الأول – إصلاح العقيدة – سواء أكان الأمر يتعلق بالمخاطبات الرسمية أم بالمراسلات بين الناس [10]، يقول الإبراهيمي:" إن جمعيتكم هذه أسست لغايتين شريفتين، لهما في قلب كل عربي مسلم بهذا الوطن مكانة لا تساويها مكانة، وهما إحياء مجد الدين الإسلامي وإحياء مجد اللغة العربية .." [11]، فاللغة العربية بالنسبة للإبراهيمي هي أكثر من لغة، فهي هوية وطنية، ومرجعية دينية.

وبهذا يعد الأدب العربي من بين أهم الوسائل التنويرية الإصلاحية التي اعتمد عليها الإبراهيمي في الحفاظ على اللغة العربية، وتنمية روح الإبداع عند الأدباء والحس الجمالي عند القراء الجزائريين باللغة العربية، كما لا يمكن التعبير

بصدق عن طموح وواقع المجتمع الجزائري إلا بلغتهم الأم، يقول الشيخ الإبراهيمي:" الأديب إنما يكون أديبا بحق حين يكون أمين القلم، صادق البيان ينقل إحساسه إلى قارئه في عمق وصدق، فلغة الأدب وحدها هي الترجمان الأمين لعواطف هذه الشعوب، واللسان المبين الذي يعرض خلجاتها، ويفصح عن آمالها ولآلامها، والأديب لا يعرف الإقليمية ولا الحدود، مادام صادقا في التعبير عن حاجات قارئيه، نابعا عن بيئتهم، تتمثل فيه خصائصها الإنسانية، ولا تتكسر أمواجه عند خطوط الوهم الجغرافي، أو رسوم الحد السياسي"[12]، فالأدب هو من يرسم صورة المجتمع الذي ينتمي إليه وساهم في بلورة فكره. فالأدب عند الإبراهيمي يعلم الإنسان حب الجمال ويعمله كيف يكون صاحب رسالة في الحياة بغض النظر عن القومية والفئوية الضيقة.

فاهتمام الإبراهيمي بالأدب ليس من باب الترف الفكري، بل إيمانه أنه لا يقل أهمية عن بقية العناصر الإصلاحية الأخرى، إن لم نقل يحتويها فهو يخاطب العقل ممزوجا بالعاطفة لكن بمنطق ووعي، كما يهتم برقي الألفاظ والمعاني والأساليب، وينطلق من واقع المجتمع وتاريخه، فيعبر عن هوية الأديب وانتماءه إلى دينه ولغته ووطنه، ومنه فالأدب – من وجهة نظر الإبراهيمي – لابد من أن يحمل رسالة سامية يبلغها الأديب لأبناء وطنه وقوميته وللإنسانية بأسرها دون أن يتنصل من مبادئه وانتمائه إلى هذا الدين وهذه اللغة وهذا الوطن، هذا ما يجعله يتوجه بنقده لشعراء يوافقون مقاصده الفلسفية التنويرية الثورية الإصلاحية. حيث اختار الشيخ الإبراهيمي (أحمد شوقي– محمد العيد آل خليفة)؛ خدمة للثورة وتنوير العقل من الجهل العلمي والجهل بمقاصد الآخر بحيث يمكن للمتعلم وغير المتعلم أن يستوعب الواقع الذي يعيشه ومن ثم يتجاوزه إلى الطموح في مستقبل أفضل.

وذلك لأن الشيخ الإبراهيمي أراد تسخير الأدب وخاصة الشعر وجهة تعليمية أخلاقية؛ لتصحيح المجتمع بالتعليم المباشر والوعظ أو الهجاء و النقد [13]، بمدح الأخلاق الفاضلة ودعوته إلى التمسك بها ونبذ الأخلاق الدنيئة. وخدمة لإعادة إحياء اللغة العربية الفصحى المبنية على القواعد والأصول المتعارف عليها، والابتعاد عن اللغة المبتذلة .

فالشيخ الإبراهيمي ناقد نهضوي سواء في مجال ذوده عن ساحة الإسلام ، أو الإصلاح الاجتماعي في رفع مكانة المواطن الجزائري، أو القومية العربية ومطالبته بترك الاختلاف والبحث عن عوامل الالتفاف والاتحاد وطنيا وعربيا وإسلاميا، وكذلك على مستوى الإبداع الأدبي شعرا ونثرا ونقدا، فكل مجال من هذه المجالات خصّه الشيخ بالبحث والنقد، وليس هذا من قبيل التشتت بل ذلك نابع من اعتقاده أن كل هذه المجالات متواشجة مترابطة لا يصلح الكل إلاّ بصلاح كل الأجزاء. مؤكدا على اشتراكها في تأدية رسالة النهضة، بتواصل الأمة العربية والإسلامية مع ماضيها العريق لغة ودينا وتاريخا، والأخذ بناصية العلم والتطور بالاستفادة من التراث الإنساني دون إفراط أو انبهار، بل تأثرا واعيا؛ "لأن ضرورة الوطن تستدعي سيرها في طريق واحد، وكان مظهرها الأعلى وعنوانها الأجلى جمعية العلماء، فهي التي جمعت الشتات، أحيت الموات وحددت المبادئ، ووفرت الوسائل للقوادم المستعدة أن تطير وتحلق، وللأفكار المقيدة أن تبحث وتتعمق، وبدأت النهضة الأدبية تسابق الإصلاح الديني وتغذيه "[14]، كل ذلك يجعلنا نقر أن اختيار الإبراهيمي للشعراء الذين نقدهم واهتم بإبداعهم ليس اختيارا عشوائيا ولا عاطفيا بحتا، وإنما هو اختيار واع يخدم فكره ومخططه الإصلاحي.

2. الممارسة النقدية الإبراهيمية:

وبهذا يمكن أن نقول أن الممارسة النقدية التنويرية عند الإبراهيمي تنقسم إلى عدة أقسام :

1.2. المشاركة الأدبية الإبداعية في نقد المجتمع:

إجادة الإبراهيمي لنظم الشعر جعلته يشارك بالعديد من القصائد والمقطوعات والأراجيز التي تتميز بأسلوب قصصي شيق على غرار أحمد شوقي، كما تميزت كتاباته النثرية في الكتب المؤلفة والمقالات التي كان ينشرها بجريدة البصائر والشهاب وغيرهما تجمع بين جودة اللغة وتأريخ الأحداث التي مرّ بها الشيخ والجمعية والجزائر ككل، فهو وإن كان له من الخواطر الشخصية فهي تصب في انشغاله واشتغاله بقضايا الوطن ومحاولة إيجاد الحلول لمشاكله الآنية واستشراف المستقبل، نذكر بعض عناوين النصوص الأدبية التي أبدعها الشيخ الإبراهيمي وذكرت في الآثار: تساءل نفس [15]، مقامة في رثاء الإمام ابن باديس مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة [16]، رواية الثلاثة [17]، هذه العزيمة [18]، رسالة إلى الأستاذ إبراهيم الكتاني [19]، شكوى العاصمي[20]، يا طالب [21]، ..الخ، فالشيخ الإبراهيمي كان قادرا على أن يبدع متى ما شاء من النصوص الأدبية وهو يجيد نقد نفسه وغيره، لهذا كان ينتج نصوصا أدبية وفقا لما اقتضته ضرورة تعليم الناشئة وإرشاد المعلمين إلى أساليب جديدة ترغب الطلاب وتحفزهم على الإبداع.

كما عالج الشيخ الإبراهيمي مشكلة خطيرة وهي تعليم المرأة في أرجوزة بعنوان تعليم البنت يقول فيها[22]

كتمانها غبن وغش وشـــــــــر لا تنس(حوا) إنها أخت الذكر
تحمل ما يحمل من خير وشـــر تثمر ما يثمر من حلو ومـــــر
وكيفما تكونت كان الثـــــــمر وكل ما تضعه فيها استقـــــر

وهذا يشبه – إلى حد كبير – قول الشاعر أحمد شوقي :

وإذا النساء نشأن في أمية رضع الرجال جهالة وخمولا

فالمتتبع للإنتاج الذي كان الإبراهيمي يتحف به قرّاءه نثرا ومحاضرات وخطبا وشعرا يستطيع أن يتبيّن المَوضوعات التي كان الإبراهيمي يثيرها ويرصّع معانيها بقلمه الرائع، لكنّها – أي هذه الموضوعات – تكاد تتمحور كلها حول الجزائر وإثبات عروبتها وإسلامها وانتمائها الحضاري والتاريخي إلى جسم الأمة العربية الإسلامية ثم النداء الصادق إلى إخوان الجزائر في المشرق للقيام بواجبهم في دعم ثورة التحرير التي شب أُوارُها واضطرمتْ على العدو نارها [23].

2.2. التنويه بشروط الكتابة الأدبية الإبداعية:

حدّد الشيخ الإبراهيمي في مقاله (إلى الكتّاب) الطريق الذي يساعد المبدعين الجزائريين للوصول إلى القدرة على كتابة نص إبداعي جيد من ناحية الشكل والمضمون، منها : – عدم الغرور– المطالعة وقراءة كتب الأدب التراثية – تقليد الكتاب المتمكنين في بداية مشوار المبدع حتى يقوى عوده – عدم التقيد بتيار أدبي واحد قدماء ومحدثين – حفظ نصوص أدبية والاستعانة بها – تعلم قواعد اللغة – التمرس على الكتابة الأدبية – الاعتماد على النفس في التكوين الأدبي وليس على المؤسسات، يقول الإبراهيمي:" ونصيحتنا إلى هؤلاء و إلى ناشئتنا الكاتبة أن ينظروا لأنفسهم وأن يعتمدوا عليها، وأن يدمنوا القراءة لآثار فحول الكتاب من قدماء ومحدثين، وأن يحملوا أقلامهم على احتذائها بالتدريج، وأن يتكثروا بحفظ اللغة الأدبية، ويتبصروا في مواقع استعمالها في التراكيب وأن يكونوا عصاميين في الأدب والكتابة، فإن المعاهد التي تقلبوا فيها للتحصيل لا تخرج أديبا ولا كاتبا مادام حظ البيان فيها منزورا، وعلم اللغة والإنشاء مهجورا والأدب العربي فيها لا يدرس قصدا وإنما نعرض نتفه عرضا"[24].

وفي مقاله "حرية الأديب وحمايتها " عرّف الشيخ الإبراهيمي بمفهوم الأدب وحدد الأساسيات التي تضمن للأديب حرية الإبداع الصادق الذي يصور الحقيقة ويؤدي الرسالة التنويرية المناطة به كتحقيق الوحدة القومية العربية، والمساواة في وحدة المشاعر الإنسانية، فقلم الأديب لا يقل أهمية عن سلاح المحارب في ساحة المعركة، بل هما يتكاملان لخدمة نفس القضية، ولهذا كان لابد من ضمان حقوق الأديب: " وأول ما يجب أن نحمي منه الأديب والأدب هو تلك العواصف التي تطفئ جذوته وتمسخ نوره ورونقه وتمسه بالعوز والكدية والصعلكة، فلابد أن نبذل للأديب من رحابة الحياة و يسر العيش ما يجعله معتدل الحس رضي النفس صادق التعبير غير ضجر بضيقه و عسره .." [25].

3.2. نقد النصوص الشعرية:

- **<u>أحمد شوقي :</u>**

يقول الشيخ الإبراهيمي:" وما كادت تلوح النهضة في الجزائر بعد الحرب العالمية الأولى، ويكتب لي أن أكون أحد قادتها حتى كنت أول الداعين دعوة جهيرة إلى الائتمام بشوقي وإلى احتذاء طريقته والسير على نهجه في الأدب العربي، وأول الدالين على روائع شعره، ولما جد جدّ تلك النهضة وتعددت المدارس العربية على يد جمعية العلماء الجزائريين، وقدر لي أن أكون المشرف على توجيهها مكنت لشعر شوقي في نفوس الآلاف من الناشئة الجزائرية، فأنبتت تلك النهضة من أولها على أدب شوقي وشعره"[26]، فهذا الإعجاب له أسبابه:

– فقد أعجبه منه الدعوة إلى التسامح الديني واتحاد العرب تحت راية واحدة؛ " أما تمجيد الإسلام فلا نعرف شاعرا عربيا قبل شوقي مجد الإسلام وجلا فضائله ومحاسنه كما مجد وجلا شوقي، ولا نعرف شاعرا بعد شرف البوصيري دافع عن حقيقة الإسلام كما دافع شوقي..الذي قال في دين محمد وكتابه[27]:

الله أكبر إن دين محمد و كتابه أقوى وأقوم قيلا

✓ وتمثله للتراث الأدبي والتاريخي والديني، ومعرفته بالواقع الذي تعيشه بلاده ، فجاء شعره – حسب قول الشيخ – : " بهذا الفيض المدرار الذي يفيض به شوقي في التغالي بالإسلام وتاريخه وأمجاده، وبهذا الإيمان القوي بالله وقضائه، وبهذا التصوير لبدائع مصنوعاته وبهذا الترديد اللذيذ للقرآن والحض على التمسك به، وبهذا التكرار الحلو للمقدسات الإسلامية من ملائكة وأنبياء وصحابة وأماكن وأيام، فيغشى في شعره ذكر الله وجبريل ومحمد وإبراهيم وموسى وعيسى وعمر وخالد ومكة والمدينة وبدر والقدس، وأسماء كثيرة لبناة المجد الإسلامي والعربي يكررها فلا تملّ، ويصفها فلا تختل، ويسميها بسيمائها ويصفها بخصائصها"[28]، هذا ما جعله يفاضل بين شوقي والمتنبي – الذي أسال أقلام النقاد القدامى والمحدثين – على شاكلة النقد العربي القديم، لكن الإبراهيمي قد فضل شوقي على المتنبي رغم تقليده إياه في بداية مسيرته الشعرية، وانتصر عليه بعد أن قوي عوده وفهم رسالة الإبداع الأدبية التي لا تقف عند استخدامها في المصالح الشخصية الآنية الزائلة، يقول الشيخ الإبراهيمي بهذا الصدد:" ولقد دأب شوقي بتقليد المتنبي في أول أمره فجاراه، وما كبا وما قصر، ثم شآه في التشبيب الصادق والغزل الرقيق، ثم طاوله فطال عليه في وصف الآثار الباقية عن الحضارات الداثرة وفي التغني بالأمجاد الغابرة لبني جنسه أو بني وطنه أو بني دينه على حين كانت عبقرية المتنبي لا تتجاوز به مدح شخص يجود أو شجاعة و انتصارات قد يكون الغناء فيها للممدوح" [29].

وقد كان الشيخ الإبراهيمي راوية لشعر شوقي وقد حفظه عن ظهر قلب منذ صغره:" كنت قواما على شعر شوقي، أستحضره كله وأستظهر جله، حتى ليصدق علي أنني راوية شوقي بالمعنى الذي كان يعرفه أسلافنا في الرواية، ولقد حفظت الشوقيات القديمة قبل هجرتي الأولى إلى المشرق سنة 1911 ميلادية – قبل أن

يصل سن العشرين من عمره – ثم أحفظ من شعر شوقي ما جدّ بعد طبع الشوقيات الأولى، واستوعبت شعره في منفاه بالأندلس حفظا لأول ظهوره في الصحف أو في أجزاء ديوانه بعدما طبعت" (30).

"ليت شعري هل كان شوقي يدري حين نظم هذا البيت :

هل كلام الأنام في الشمس إلا أنها الشمس ، ليس فيها كلام

أنه سيصبح أحق به ممن قيل فيه ؟ فقد وصل شوقي بشعره حينما اقتحم به جميع الميادين إلى مرتبة من مراتب الخلد لا يستطيع وصفها إلا هو بمثل هذا البيت" (31).

لكن هذا الإعجاب لم يمنعه أن يعيب على شوقي بعض السقطات التي لم يتسامح معها الشيخ الإبراهيمي، مثل عتبه عليه انبهاره بالمدنية الفرنسية المزيفة في أبياته التي يقول فيها :

دم الثــوار تعرفه فرنســـــا و تعلم أنه نور و حـــــق

جرى في أرضها فيه حـــــياة كمنهل السماء و فيه روق

وحررت الشعوب على قناها فكيف على قناها تســترق

يقول الشيخ الإبراهيمي:" سامحك الله يا شوقي أي شعب تحرر من قنا فرنسا، فإن كان بعض ذلك فهو من قبيل باب الربا الفاحش، تأخذ فيه فرنسا أكثر مما تعطي، وليس خالصا لوجه الحرية والتحرير" (32)،هذا من ناحية المضمون.

أما من ناحية الشكل فقد عاب عليه ؛ يقول الشيخ الإبراهيمي بهذا الصدد:" يؤخذ على شوقي أنه مع جلالته في الإيمان ومتانة العقيدة يطغى عليه الجبروت الشعري فيقع في هفوات تدخل في باب الإغراق والغلو أو باب التساهل والاستخفاف.. ولا يشفع فيها العذر والتأويل؛ من هذه المبالغات قوله:

وجه الكنانة ليس يغضب ربكم أن تجعلوه كوجهه معبـــودا

و لّوا إليه في الدروس وجوهكم وإذا فرغتم و اعبدوه هجودا

.. وغير هذا في شعره كثير وإنها لهنات، نرجو أن تكون في مقابل إحسان شوقي وفي جانب عفو الله هينات "[33]

وهكذا سار شعر الشيخ الإبراهيمي ونقده على نفس الخط الإصلاحي فلا يمكن قبول صورة شعرية مهما كان سحر بيانها وجودة سبكها إن هو الشاعر قد غالى فيها، فالشيخ الإبراهيمي لا يقبل من الشعر إلا ما كان خاضعا لسلطان العقل غير متجاوز للدين.

- **محمد العيد آل خليفة :**

يعتبر محمد العيد آل خليفة أحد أبرز علماء وشعراء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي كافحت في سبيل عزة الإسلام والمسلمين ضد الاستدمار الفرنسي الغاشم، فهو أمير شعراء الجزائر كما لقبه عبد الحميد بن باديس .

نشر كثير من قصائده في صحف الجمعية " البصائر – السنة – الشريعة – والصراط "، يعد الشاعر محمد العيد آل خليفة من رواد الشعر العربي التنويري، فشعره يرتكز على أربع مبادئ أساسية: الإسلام – العربية – الوطن – الإنسانية، وهي على نفس خطى الجمعية، يقول عنه الشيخ الإبراهيمي:" رافق شعره النهضة الجزائرية في جميع مراحلها، وله في كل نواحيها، وفي كل طور من أطوارها، وفي كل أثر من آثارها القصائد الغر والمقاطع الخالدة ، شعره – لو جمع – سجل صادق لهذه النهضة و عرض رائع لأطوارها "[34].

فقد كان الشيخ الإبراهيمي معجبا بشعره لموافقة شعره لأهداف الجمعية والحركة الإصلاحية، ومشاركته في التنوير عن طريق قلمه الشعري وعمله الجمعوي، كان الشاعر مصلحاً صوفيا داعيا إلى الإصلاح ناشراً للمفهوم الصحيح للإسلام ومقاوماً للانحراف، وهو متفاني في خدمة وحبّ الوطن، وساهم في الإصلاح الديني

وتوعية الشعب واستنهاض هممه، وصدق التجربة مع حرارة الانفعال، اللذين كان الشاعر يعيشهما، ويعد شعره سجلا أمينا لأحداث الوطن الصغير والكبير على السواء، ومعبرا عن آمال الأمة و آلامها.

يقول الشيخ الإبراهيمي:" ما لهذه النفس الكبيرة في هذا الهيكل الصغير يهفو بها الشعر في مضطربه الواسع فلا يبلغ مداه حتى يقول :

خلا القلب من حب العباد و بغضهم و أصبح بيتا للذي حرم البيتا

ويقول اليوم:

ولـــولا رجـــاء الـــذي إليـه أنـــا زالــف

إنها وأبيك لنزوة الشعر تعتلج الفؤاد بنزعة التقى " [35]، فقد كان الشيخ عارفا بنفسية الشاعر، بقدراته وتقواه وكذلك ميله للحزن؛ فأراد أن يذكره بشعره الذي ينبض بالحيوية، ويحسن من نفسيته كي لا يؤثر هذا الحزن بشكل سلبي على جودة شعره.

4.2.متابعة الحركة النقدية في الجزائر وخارجها :

فقد كان متابعا لما يكتب من نقد حول النصوص الأدبية الجزائرية ويشجع الدراسات الجادة منها، يقول حول كتاب أبو القاسم سعد الله النقدي:" وهذه الدراسة لشعر محمد العيد آل خليفة محاولة أولى، نلمح فيها آثار الجهد الذي بذله الكاتب في استخراج طبيعة الشاعر ونوازعه النفسية من شعره، والحكم على الشاعر من شعره وعلى العام من آثاره العلمية، هو أقرب الطرق إلى الصدق والمعدلة، فإذا رزق الدارس حظا من دقة الملاحظة وسداد الاستنباط بلغت دراسته الغاية التي يتوخاها الدارسون ويرضى عنها المنصفون" [36]، فقد برر الشيخ أسباب إعجابه بالعمل النقدي، الذي يتبين منه القراءة الواعية له قبل كتابة التصدير، بالإضافة إلى إعطاء بعض المبادئ الأساسية التي تجعل من الدراسة النقدية مقبولة وموضوعية، كالإحاطة بآثار الأديب والحكم عليها من داخل النص وليس من خارجه.

كما شارك في عديد الملتقيات والندوات التي أقيمت في المشرق العربي مصر – وخاصة فيما تعلق بأحمد شوقي – ودمشق والجزيرة العربية وكذلك المغرب العربي في تونس والمغرب.

6.2. تخصيص فضاء للإبداع الأدبي وحق النقد (المدارس والجرائد والنوادي):

تعد المدرسة والجريدة والنادي فضاءات للإبداع الأدبي والنقدي سواء بسواء، فهي تعرف الطلاب والقراء على النصوص الأدبية القديمة والجديدة، كما تقدم نصوصا وآراء نقدية حولها. والشيخ الإبراهيمي لم تخف عليه هذه الفائدة بل استغلها أحسن استغلال بل شجع عليها في كل المناسبات، فهو من الذين نشروا إبداعاتهم ومساهماتهم النقدية التحليلية وفق قواعد نقدية تخضع لمعايير الموضوعية في الحكم على النص الأدبي.

خاتمة:

- ✓ الشيخ الإبراهيمي ذو توجه إصلاحي، والذي طبع كتاباته النقدية، فقد حث على اتخاذ الأدب مطية للإصلاح أيضا رافضا التقليد والتجديد لمجرد الإعجاب بالتراث العربي أو الغربي، فقد طالب بأن يكون الإبداع الأدبي حاملا لرسالة هادفة دون إهمال للشكل فهو امتداد لمدرسة الصنعة اللفظية التي تهتم بانتقاء الألفاظ والعبارة والبيان والبديع دون إهمال للمعنى.
- ✓ مقياس قبوله للنص الشعري هي نفس مقاييس النقد الأدبي الإسلامي الذي يتوافق مع مرحلة صدر الإسلام (خدمة الدين الإسلامي، الصدق، الوضوح، اللغة القوية، البناء المحكم).
- ✓ لقد كان الشعر أكثر الفنون الأدبية التي حازت على اهتمام الشيخ الإبراهيمي لتأثره باعتماد القدامى من العرب به (الشعر ديوان العرب)

- ✓ يعتبر الشيخ الإبراهيمي أن الشاعر الجيد تتعدد مهامه، فهو مسكون بالفن وهموم الإنسان والإنسانية والوطن، فلا يقع في هذه الدائرة المشعة المشبعة بالظلال الفكرية والفنية والمواقف الوطنية والإنسانية الأصيلة، إلا الشعراء الممتازون، ذوو المهام التاريخية، أولئك الذين لا يكتبون الشعر لهوا ولغوا وبحثاً عن مجد غير شرعي، قد تسهم فيه الدعاية الأيديولوجية والإشهار الحزبي والفئوي، بل استجابة لحافز إنساني سام قويّ، وتعبيراً عن موقف أصيل، وإعراباً عن فكرة جادة ناضجة، أو تصويراً لحالة إنسانية أو وضع مادي أو معنوي أو ما إلى ذلك.
- ✓ ومنه فكل الوسائل التنويرية التي اعتمد عليها الشيخ الإبراهيمي لم تخلو من النقد الأدبي الذي يعمل على الحفاظ على اللغة العربية في شكلها و الإسلامية في مضامينها (التعليم – الدراسات الدينية – الكتابة في الصحف – المحاضرات التي تلقى في النوادي) فكلها ساهمت في الحفاظ على اللغة العربية الفصيحة الراقية والأسلوب الأدبي الرفيع و النقد البناء و المضامين الإسلامية و الإنسانية السامية .
- ✓ أكثر الكتابات الإبداعية الأدبية التي أضافها الشيخ الإبراهيمي إلى رصيد الأدب الجزائري كانت في منفاه بمنطقة آفلو؛ ذلك أنه لا يملك الوقت لتأليف الشعر أثناء عمله في الجمعية، وحتى أثناء هذه الفترة كان يراسل الجمعية وينظم أعمالها .فكثرة مسؤوليات واهتمامات الشيخ محمد البشير الإبراهيمي لم تترك له مجالا ليتفرغ للنقد الأدبي وإن كان له في ذلك كتابات حية وبصمات لا تموت.

الإحالات:

[1]–ناصر أحمد سنة، مشاعل النور ملامح الفكر التجديدي عند الشيخ البشير الإبراهيمي ، https://webcache.googleusercontent.com

[2]–جمع وتقديم :أحمد طالب الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي ، ج3 ،ط 1، بيروت ،1997،ص 254 /255

[3]–نعيم اليافي ،حركة الإصلاح الديني في عصر النهضة ،ط1، مركز الإنماء الحضاري ،حلب ،2000 ، ص 23

[4]–آثار الإبراهيمي ،ج3، ص 86.

[5]–إبراهيم مهديد، الدور الإصلاحي و النشاط السياسي للشيخ محمد البشير الإبراهيمي،ط1، دار قرطبة ،الجزائر،2011 ، ص 10

[6]–المرجع نفسه، ص 41

[7]–المرجع نفسه، ص41

[8]–آثار الإبراهيمي ،ج2،ص 51

[9]–ينظر: ناصر أحمد سنة، مشاعل النور ملامح الفكر التجديدي عند الشيخ البشير الإبراهيمي

[10]–ينظر: نعيم اليافي، حركة الإصلاح الديني في عصر النهضة ، ص54

[11]–آثار الإبراهيمي ، ص 133/ 134

[12]–آثار ا الإبراهيمي ، ج 5، ص 211

[13]–نسيب نشاوي، المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1984 ، ص22

[14]–آثار الإبراهيمي ، ج5، ص257

[15]–المصدر نفسه ،ج2،ص38

[16]–المصدر نفسه ،ج2،ص53

[17]–المصدر نفسه ،ج2،ص58

[18]–المصدر نفسه ،ج2،ص103

[19]–المصدر نفسه ،ج2،ص149

[20]–المصدر نفسه ،ج2،ص279

[21]–المصدر نفسه ،ج2،ص 455

[22]–المصدر نفسه ،ج4،ص 131

[23]–ناصر أحمد سنة ، مشاعل النور ملامح الفكر التجديدي عند الشيخ البشير الإبراهيمي ،

[24]–آثار الإبراهيمي،ج2،ص295

[25]–المصدر نفسه ،ج5،ص212

[26]–المصدر نفسه،ج5،ص 228

[27]–المصدر نفسه ،ج5،ص203

[28]–المصدر نفسه ،ج5،ص204

[29]–المصدر نفسه ،ج5،ص227

[30]–المصدر نفسه ،ج5،ص228

[31]–المصدر نفسه ،ج5،ص227

[32]–المصدر نفسه ،ج5،ص229

[33]–المصدر نفسه ،ج5،ص208

[34]–المصدر نفسه ،ج5،ص256

[35]–المصدر نفسه ، ج 1 ، 228

[36]–المصدر نفسه ،ج5، ص258